ليبرالى مؤمن.. وسلفى مبتسم

لا سبيل إلى وضع حد للاستقطاب الشديد بين الإسلاميين والليبراليين دون حوار صريح ومستقيم يشمل أطياف الفريقين جميعها وليس المعتدلين فى أوساطهما فقط. فقد ظهر هذا الاستقطاب واضحاً يوم الجمعة الماضى على نحو أثار قلقاً فى أوساط مختلف التيارات غير الإسلامية، وليس الليبراليين فقط.. بدا ميدان التحرير وكثير من الميادين الأخرى فى ذلك اليوم كما لو أن فيها عالمين مختلفين فى الاتجاه كما فى الحجم، إذ طغى أحدهما على الآخر بوضوح.

وقد لا يكون هذا جديداً. كان الاستقطاب كامناً تحت سطح دولة بوليسية أخفته مثلما فرضت تعتيماً على كل شىء. ولذلك فما إن أُسقطت هذه الدولة حتى أخذ الاستقطاب يطفو على السطح، ويزداد إلى أن بلغ ذروة مقلقة.

فعندما بدأ المجال العام ينفتح بعد ثورة 25 يناير، انهمك كثير منا فى تبادل الاتهامات على خلفية انتماءاتهم السياسية والفكرية بدلاً من التعاون فى حمل تركة ثقيلة بائسة خلفها النظام السابق.

فالليبراليون متهمون بأنهم كافرون أو على الأقل علمانيون، وهذه تهمة لا تقل عن الكفر فى نظر من لا يعرفون أن العلمانية تعنى حياد الدولة بين الأديان، وليس رفضها أو الكفر بها. وكثير من الإسلاميين، خصوصا السلفيين، متهمون بأنهم إرهابيون أو على الأقل متطرفون أو متشددون.

ومثلما لا يعرف خصوم الليبرالية أنها لا تتعارض مع الدين، بل يمكن أن تكون متدينة، لا يفهم أعداء السلفية أنها منهج عام يهدف للعودة إلى القرآن والسنة وفق تقاليد السلف الصالح، وأنها لا تتعارض مع الحرية فى كل الأحوال.

ونتيجة غياب الفهم المتبادل، وحضور الأكثر تشدداً فى الجانبين فى السجالات الحادة، التى تخلق صخباً شديداً، انتشرت صور نمطية تختزل الليبراليين فى أنهم لا دينيون وتحصر السلفيين فى دائرة التطرف والعنف. وهذا هو ما دفع شباباً من الجانبين إلى محاولة تقديم أنفسهم بوضوح أكثر. وبدأ بعضهم هذه المحاولة قبل المشهد الاستقطابى الحاد يوم الجمعة الماضى.

وتوجد الآن مجموعات (جروبات) أسسها شباب ليبراليون وسلفيون على الـ«فيس بوك» للتعريف بأنفسهم. ويحمل بعضها عناوين طريفة ومنها مثلا «أنا ليبرالى ومش كافر» لتوضيح عدم وجود تعارض بين الليبرالية والدين، و«أنا ملتحٍ وأبتسم» بهدف «إخراج الملتحين من قالب الناس المكشرة» وغيرها.

ويبدو هذا الشعور بالحاجة إلى تغيير صورة نمطية سلبية بداية طيبة للخروج من الخنادق، التى يتمترس فيها كثير منا. ولكنها تحتاج إلى جهد هائل لتوسيع نطاقها. فمن الضرورى أن يقوم كل اتجاه أو تيار بتعريف نفسه بالطريقة التى يراها صحيحة، ولكن هذا لا يغنى عن حاجته لأن يسعى هو أيضاً إلى معرفة الآخر لتحقيق التعارف المفقود بين الاتجاهات الليبرالية والإسلامية فى اللحظة الراهنة، التى يتنامى فيها الاستقطاب على نحو قد يشعل البلد ناراً. فقليل من هؤلاء هم الذين يعرف بعضهم البعض سواء عن قُرب أو عن بُعد. ولكن المهم، هنا، هو أن يحسن

الليبراليون والإسلاميون وغيرهم تقديم أنفسهم بوضوح واستقامة حتى لا يكون الأمر مجرد محاولة للتجميل أو إجراء «نيولوك» لبعض الوقت.

فعلى سبيل المثال، لابد أن يعرف السلفيون أن التجهم ليس هو ما يخيف الناس من بعضهم، بل التشدد الذى ظهر فى ميدان التحرير يوم الجمعة الماضى. ولكى يكتسبوا مصداقية لابد أن يوضحوا، وهم المعتدلون المبتسمون، لماذا يختلفون مع أقرانهم المتشددين، الذين حوَّل بعضهم جمعة «توحيد الصف» إلى تفريق الصفوف، وفيم هذا الاختلاف تحديداً، وأن يشرحوا كيف أن السلفية ليست تنظيماً أو تياراً واحداً، وإنما هى فضاء واسع تكثر فيه الجماعات والمدارس الدعوية والمجموعات الحركية والشيوخ.

وفى المقابل، لابد أن يعرف شباب الليبراليين أن مشكلتهم التى ورثوها عن انغلاق أسلافهم ونخبويتهم الزائدة، هى أنهم ليسوا مفهومين لدى معظم الناس وليس فقط من جانب الإسلاميين. ولكى تكون لهم مصداقية لابد أن يوضحوا، وهم المؤمنون بالله مسلمين ومسيحيين، فيم تختلف ليبراليتهم عن اللا دينية، ولماذا يختلفون مع آخرين ليبراليين أيضا، ولكنهم ليسوا معنيين بمسألة الدين ولا بالتواصل مع الآخر، وعليهم أيضا أن يعرفوا أنه لم تكن هناك أبداً ليبرالية واحدة نهائية فى العالم، لكى يعرّفوا غيرهم بذلك.

فالليبراليون، كما الإسلاميين، اتجاهات ومدارس وأطياف وشيع، ولكى يحدث تعارف صحيح بين فريقين من الليبراليين والإسلاميين، لابد أن يحسن كل منهما تحديد علاقته مع الفرق الأخرى التى تنتمى إلى تياره بالمعنى الواسع، وأن يعرف كيف يمكن أن يؤدى حوار بين ليبراليين

مؤمنين بأن للدين مكانا فى الدولة الديمقراطية، وإسلاميين يؤمنون بالحرية، إلى تحقيق نتائج عملية حتى لا تكون محاولاتهم حرثاً فى البحر.